

التفصير المختصر - سورة الرعد (١٣) - الدرس (٤) : تفسير الآيات ١٩ - ٢٤ صفات أولى الألباب .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٢-١٩٩٤-٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزرنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الإخوة المؤمنون، الآية التاسعة عشرة من سورة الرعد، وهي قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمُ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ

يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)﴾

[سورة الرعد]

وصف الله لنا أولوا الألباب، لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، ويُطبع المؤمن على الخلل كلها إلا الخيانة والكذب، فإذا خان أو كذب، إن أطيب الكسب كسب التجار كما ورد في الآخر ؛ الذين إن حدثوا لم يكنوا، وإن وعدوا لم يخلفوا، وإذا ثئثروا لم يخونوا، وإذا اشتروا لم يذمموا، وإذا باعوا لم يُطروا، وإذا كان لهم لم يعسروا، وإذا كان عليهم لم يُنقذوا، فالذين صدقوا وأمانة ووفاء بالعهد، لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له وهؤلاء أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ؛ شخص اشتري بيت بمساكن دُمر، فقال له صاحبها: البيت بثلاثمائة ألف ليرة الحاصل أن البائع جاءه من دفع له أكثر من هذا المبلغ، فلم يرض بيضة من أجل أن وعد وسلم البيت، فلما جاء هذا الشخص ؛ قال له: هل جاءك من أعطاك أكثر مني ؟ فقال البائع: نعم، ولكنني لا أبيع ديني من أجل مبلغ بخس من الدنيا ! فأغраб هذا الشخص بعهد هذا البائع، ولم تمض أيام حتى طلبت الجمعيات السكينة من البائعين دفع مبلغًا ماليًا كبيرًا ؛ فدفع المشتري هذا المبلغ دون أن يُعلم البائع !!

بهذه المعاملات النادرة تُتلجمُ الصدر، وإذا نظرنا إلى الخيانات التي تكون بين الناس يجعل القلب يضيق، فلو أن الإيمان عَشَّش قلوبنا لعشنا في جنة، سبعمائة ألف بيت مغلق في دمشق، فلو كان هناك ثقة وعهد لما غافت، وحتى قالوا: ليس هناك أزمة سكن، ولكن أزمة إسكان ! فازمة سكن يعني لا توجد بيوت، أما أزمة إسكان يعني لا توجد ثقة، إذا لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، والمؤمن ينفذ وعده ولو على قطع رأسه، أحد الصحابة قبل الهجرة ألقى عليه القبض من قبل الكفار فقال لهم: أطلقوا صراحي وأعادكم على أن لا أقنانكم ! فجاءت الغزوة فلما أراد أن يُقاتل قال له النبي عليه الصلاة والسلام:

((ارجع ألم تعاهم أن لا تفتألهم))

لذلك إذا عاملتَ مؤمناً شعر أنّ كلمته أُنكل شهادة أحد.

قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)﴾

[سورة الرعد]

هذه صفات أولي الألباب، يصليون ما أمر به الله أن يوصل، يصل رحمة المؤمنين وإخوانه، أما الكفار والفحار والعصاة، هؤلاء ينبغي أن تتبع عنهم، ولكن الذي يحصل أن الإنسان يبحث عن مصالحة؛ يصل أهل الدنيا ويقطع أهل الحق، ويؤثر مجالس الطرب على مجالس العلم، إذا قُلْ لي من تصل ومن تقطع أقول لك من أنت؟ تؤثر ماذا؟ أما المؤمن فيصل أهل الحق، يصل المؤمنين وأهل الحق، وغير المؤمن يصل الأقواء ومن عندهم الجاه.

قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١)﴾

[سورة الرعد]

ساعة الحساب نافذة بين يديه وعينيه ولا تغيب عنه لحظة، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)﴾

[سورة الرعد]

كما قلت لكم في درس سابق صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية وصبر على أمر الله وقضاء الله، قد تصبر على إنسان قهرك، هذا ليس لوجه الله، أما الذي لوجه الله أن تكون أنت القوي والطرف الآخر ضعيف، صبرت على زوجتك وأولادك؛ هذه هي البطولة، أما القوي فكل الناس يصبرون لأنك لا تستطيع أن تتنفس معه، فالصبر الحقيقي أن تصبر عن هو دونك.

شدّ أعرابي النبي عليه الصلاة والسلام من ثوبه... فهذا المال ليس مالك ولا مال أبيك...." هذا هو الصبر، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ... عَلَانِيَةً﴾ فمثلاً الإنسان يتجرّ عمن هم دونه في الوظيفة، وأمام مديره تجده كالطفل ! إذا لم تقر على القوي، فارحم الضعيف، أما مع الضعيف متجرّ ومع القوي كالطفل فهذا موقف متناقض ولا أخلاقي، قال

تعالى :

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢)﴾

[سورة الرعد]

كلمة ومما رزقناهم عامة ؛ أعطاك مال أنفق المال، وأعطيك علم أنفق العلم، فلو وضع أخ عندك ابنه ليتعلم مصلحة واستخدمته لصالحك الخاصة ولم تعلمه المصلحة، فالله كبير، فالمؤمن يعطي

من ماله وعلمه وجاهه وخيرته ومن كل شيء، فالآلية واضحة ينفق سرًا وعلانية، فإذا هو أفق علانية لشجاع الناس، وخاف الرياء أفق سرًا، وكل واحد حكيم نفسه فالضابط هو النية.

قال تعالى:

﴿وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢)

[سورة الرعد]

الإنسان يغلط لكن الله تعالى من كريم رحمته قال لك: إذا غلطت اصنع المعروف فإن الحسنات يذهبن السيئات، كلما شعرت بعلاقة سيئة مع والديك أو أقاربك أو إخوانك قدم لهم الهداية وبادرهم بالحسنى واسترضيه، وإذا لم يكن معك إقرأ القرآن، صم، استغفر، قدم معونتك.

ثم قال تعالى:

﴿جَنَّاتٌ عَذْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣)

[سورة الرعد]

من كل باب من أبواب الخير، هناك المنافقون والداعاة إلى الله والذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، والذين تركوا علمًا ينتفع به من بعدهم، والذين أسسوا مشاريع خيرية؛ كل هذه أبواب خيرية، قال تعالى:

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٤) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

[سورة الرعد]

هؤلاء هم أولوا الألباب؛ يوفون بعهد الله، و:

﴿يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً﴾

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقْبَى الدَّارِ﴾

فالأمر واضح، وهذه صفات المؤمنين، لا تعيش بالأحلام الدين يُسر، ولا تشديد في ديننا، ولا يوجد أمر تعجيزى، ألا تستطيع أن تفعل عوض السيئة حسنة، إن فعلت كنت من أهل الألباب.

والحمد لله رب العالمين